الجزء الثالث

طريقة التلقيح حول حقيقة سيدنا المسيح

10) لقد اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في سورة النساء: " **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما** " (157-158).

إن قتل عيسى عليه السلام وصلبه، قضية يخبط فيها اليهود كما يخبط فيها النصارى بالظنون، فاليهود يقولون: " إنهم قتلوه ويسخرون من قوله " إنه رسول الله " فيقررون له هذه الصفة على سبيل السخرية، والنصارى يقولون: إنه صلب ودفن ولكنه قام بعد ثلاثة أيام "والتاريخ" يسكت عن مولد المسيح ونهايته كأن لم تكن له في حساب. وما من أحد من هؤلاء أو هؤلاء يقول ما يقول عن يقين.. فلقد تتابعت الأحداث سراعا، وتضاربت الروايات وتداخلت في تلك الفترة بحيث يصعب الاهتداء فيها إلى يقين إلا ما يقصه رب العالمين .. وكيف أتى لأستاذنا اليقين ؟ وماذا بعد الحق إلا الضلال!!!

والأناجيل الأربعة التي تروى قصة القبض على المسيح وصلبه وموته ودفنه وقيامته، كلها كتبت بعد فترة من عهد المسيح عليه السلام، كانت كلها اضطهادا لديانته ولتلاميذه يتعذر معه تحقيق الأحداث في جو السرية والخوف والتشريد ... وقد كتبت معها أناجيل كثيرة. ولكن هذه الأناجيل الأربعة اختيرت قرب نهاية القرن الثاني للميلاد، واعتبرت رسمية واعترف بها، لأسباب ليست كلها فوق مستوى الشبهات.

ومن بين الأناجيل التي كتبت في فترة كتابة الأناجيل الكثيرة: أنجيل برنابا وهو يخالف الأناجيل الأربعة المعتمدة في قصة القتل والصلب فيقول:" ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذي كان فيه يسوع، سمع يسوع دنو جم غفير. فلذلك انسحب إلى البيت خائفا.. وكان الأحد عشر نياما. فلما رأى الخطر على عبده، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل، سفراءه أن يأخذوا يسوع من العامل. فجاء الملائكة الأطهار، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب فحملوه، ووضعوه في السماء الثالثة، في صحبة الملائكة التي تسبح إلى الأبد. ودخل يهوذا بعنف إلى الغرفة التي صعد منها يسوع،

وكان التلاميذ كلهم نياما. فأتى الله العجيب بأمر عجيب فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع – حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع. أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم. لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيدي معلمنا. أنسيتنا الآن.. الخ " وهكذا لا يستطيع الباحث أن يجد خبرا يقينا عن تلك الواقعة التي حدثت في ظلام الليل قبل الفجر وأحرى وأولى أن يقرر يقينا أن المسيح وأمه أتيا من نطفة واحدة ثم تقلص في بطن أمه وهي جنينة في بطن امرأة عمران.

أما القرآن الكريم فيقرر قراره الفصل.. " **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم** " .. " **وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما**"(النساء- 156 /157).

ولا يدلي القرآن بتفصيل في هذا الرفع أكان بالجسد والروح في حالة الحياة؟ أم كان بالروح بعد الوفاة؟ ومتى كانت هذه الوفاة وأين؟ وهم ما قتلوه وما صلبوه وإنما وقع القتل والصلب على من شبه لهم سواه. لا يدلي القرآن بتفصيل آخر وراء تلك الحقيقة إلا ما ورد في سورة آل عمران عند قوله تعالى: " **يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي** "(آل عمران / 54).

وهذه كتلك لا تعطي تفصيلا عن الوفاة ولا عن طبيعة هذا التوفي وموعده. فهذه أمور غيبية تدخل في المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ولا طائل وراء البحث فيها، لا في عقيدة ولا في شريعة. والذين يجرون وراءها ويجعلونها مادة للجدل ينتهي بهم الحال إلى المراء الممقوت في شرعنا الحنيف، وإلى التخليط والتعقيد دون ما جزم بحقيقة ودون ما راحة بال في أمر موكول إلى علم الله.

وأما أن الله جعل الذين اتبعوه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة. فلا يصعب القول فيه. فالذين اتبعوه هم الذين يؤمنون بدين الله الصحيح: الإسلام الذي عرف حقيقته كل نبي وجاء به كل رسول قال تعالى : " **إن الدين عند الله الاسلام** " (آل عمران/18) فآمن به كل من آمن حقا بدين الله.. وهؤلاء المسلمون حقا فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة في ميزان الله كما أنهم كذلك في واقع الحياة كلّما واجهوا معسكر الكفر بحقيقة الإيمان وحقيقة الإتباع، ودين الله واحد، وقد جاء به عيسى بن مريم كما جاء به من قبله ومن بعده كل رسول، والذين يتبعون سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هم في الوقت ذاته اتبعوا موكب الرسل كلهم من لدن آدم عليه السلام إلى آخر الزمان.

فإذا رفع سيدنا عيسى عليه السلام فإن روحه العالية التي بثها في أصحابه لم ترفع معه فثبتوا على طريقته رغما عن قوة أعدائهم وبسطة سلطانهم ولم يبالوا بما لحق أجسادهم من الأذى ومازالوا يدعون الناس إلى دينهم فيتبعهم من فتح الله بصيرتهم للهدى في وسط تلك الوثنية الرومانية المستحكمة حتى شعرت السلطة بثقل وطأتهم فأخذت الحكومة في اضطهادهم وتعذيبهم بالحديد والنار وألوان الإيلام فكانوا لا يزدادون إلا ثباتا على الحق ومضيا في شأنهم ولم يزالوا على هذه الحال من الشقاء نحو من ثلاثة قرون حتى أتيح لهم الأمبراطور كونستانتين وكان نصرانيا متحمسا فأمر بهدم الهياكل الوثنية وحمل الناس على الدخول في الديانة المسيحية بالسيف فدخل الناس في الدين أفواجا أفواجا حاملين معهم عقائدهم الوثنية الموروثة وعز عليهم أن يتجردوا منها أصلا لشدة التصاقها بضمائرهم، فخلطوا بينها وبين دينهم الجديد فكان هذا أول ما طرأ على تلك الديانة من الانحراف عن صراطها الأصلي.. فحدثت في النصوص تأويلات وفي الكتب توسعات كما حصل لكل الأديان السابقة حتى جاء خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالإصلاح الأكبر لكل الأديان السابقة توفيقا بين عقائد الأمم وجمعا بين أفئدة الشعوب لتقوم الانسانية على دعائم الإخاء والحب الخالص وتتعارف الطوائف البشرية على أس الشورى والمساواة والعدل بين الناس.

11) لقد ذهب مفسروا القرآن في معنى قوله تعالى: "**يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا** " (آل عمران /55) إلى عدة شروح وهي:

* المعنى رافعك إلي ومتوفيك وأن الكلام فيه تقديم وتأخير .

* المراد إني مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك. فالكلام كناية عن عصمته من الأعداء وما هم بصدده من الفتك به عليه السلام لأنه يلزم من استيفاء الله أجله موته حتف أنفه.

* المراد قابضك ومستوف شخصك من الأرض ، من توفي المال بمعنى استوفاه وقبضه.

* المراد بالوفاة هنا النوم، لأن النوم والوفاة يطلق كل منهما على الآخر. وقد روي عن الربيع أن الله تعالى رفع عيسى عليه السلام إلى السماء وهو نائم، رفقا به .

* أجعلك كالمتوفى لأنه بالرفع أشبه .

* المراد آخذك وافيا بروحك وبدنك فيكون (**ورافعك إلي**) كالمفسر لما قبله.

* المراد بالوفاة موت القوى الشهوانية العائقة عن اتصاله بالملكوت.

* إن المراد مستقبل عملك. قال الألولسي : " ولا يخلو أكثر هذه الأوجه من بعد ولاسيما الأخير.

* وهناك وجه تاسع: أخرج ابن جرير عن وهب أنه قال: توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار حتى رفعه الله. وفي رواية للحاكم عنه: أنه توفاه سبع ساعات ثم أحياه ".

قال الأستاذ الجليل عبد الوهاب النجار في كتابه قصص الأنبياء: " والذي أختاره أن عيسى عليه الصلاة والسلام قد أنجاه الله من اليهود فلم يقبضوا عليه ولم يقتل ولم يصلب. وأن الوجه الثاني وهو أن المراد من الآية أني مستوف أجلك ومميتك حتف أنفك لا أسلط عليك من يقتلك. وأن الآية كناية عن عصمته من الأعداء هو الوجه الوجيه الذي يجب أن يصار إليه لأنه المتبادر من المقام والذي يحقق إحباط الله لتدبير أعدائه كما قال تعالى: " **ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين**"(آل عمران /53) وما عجبت من شيء فإن تعرض مثل وهب وغيره من مسلمة اليهود لشأن عيسى أعجب وقد كانوا ألد أعدائه إلى أن أسلموا. وهنا يأتي سؤال هو: إذا كان عيسى قد نجا سالما ووقع من ألقى عليه شبح المسيح في هذه الورطة فأين ذهب ؟

والجواب أن جمهور المسلمين على أن الله تعالى قد رفعه بروحه وجسده حيا إلى السماء ودليلهم على ذلك قوله تعالى: (**ورافعك إلي**). وكيف نعجب من رفعه عليه السلام بروحه وبدنه وأمامنا حادثة خارقة شهيرة، ألا وهي حادثة الإسراء والمعراج التي تكرم بها الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث رأى ما رأى وصُعِدَ به إلى السماوات العلى وشاهد المولى عز وجل بعين رأسه بلا كيف ولا انحصار... " **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** " (النجم /17)... فأي الحادثتين أعجب ؟؟ وقد شاهد الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء معراجه بعض إخوانه من الأنبياء والمرسلين منهم آدم وإدريس وإبراهيم ويوسف وموسى وهارون وعيسى ويحي عليهم أفضل الصلاة والسلام.. وكيف رفع الله هؤلاء الأخيار إليه؟ فهذا مجهول والله على كل شيء قدير... فلم يكن المسيح عيسى عليه السلام الوحيد الذي رفعه الله الى السماء كما قال أستاذنا... ألم يقل الحق عز وجل في محكم التنزيل : " **واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيئا ورفعناه مكانا عليا**"(مريم /56-57)؟ والأرجح أن زمان سيدنا إدريس عليه السلام سابق لإبراهيم وليس من أنبياء بني

إسرائيل فلم يرد ذكره في كتبهم. والقرآن يصفه بأنه كان صديقا نبيئا ويسجل له أن الله رفعه مكانا عليا. فأعلى قدره ورفع ذكره. "

وهناك رأى كما قال الامام سيد قطب رضوان الله عليه، نذكره لمجرد الاستئناس به ولا نقرره أو ننفيه، يقول به بعض الباحثين في الآثار المصرية: " وهو أن إدريس تعريب لكلمة " أوزريس" المصرية القديمة. كما أن يحي تعريب لكلمة يوحنا، وكلمة اليسع تعريب كلمة اليشع ... وأنه هو الذي صيغت حوله أساطير كثيرة . فهم يعتقدون أنه صعد إلى السماء وصار له فيها عرش عظيم. وكل من وزنت أعماله بعد الموت فوجدت حسناته ترجح سيئاته فإنه يلحق بأوزريس الذي جعلوه إلهًا لهم وقد علمهم العلوم والمعارف قبل صعوده إلى السماء ". فالمسيح عيسى عليه السلام إذًا لم يكن الوحيد الذي كتب له الخلد في السماء .. فقد سبقه إخوانه من الأنبياء كما سلف .

12) يقول أستاذنا بن عزوز عن التوفي الوارد ذكره في سورة آل عمران : " يعني التغيير والخروج من الجو المناخ الأرضي الخاص إلى أجواء ومناخات سماوية مختلفة عن المناخ الأرضي لا يمكن الحياة فيها إلا بتغيير في تركيب الذات الإنسانية الأرضية وهو ما عبر عنه بالتوفي ".

ويضيف إلى " هذا الاكتشاف " قوله : " ولولا عملية شق الصدر لمحمد عليه السلام المعلومة تاريخيا لما استطاع الخروج من المناخ الأرضي إلى الفضاء عديم الهواء والكواكب السماوية الأخرى المختلفة عن مناخ الأرض، فكانت عملية شق الصدر وحكمتها الشرعية في تهيئة ذات الرسول للعروج خارج الجو الأرضي ولولاها لكان التوفي لمحمد كالمسيح عليهما السلام" .

إن العروج عند أستاذنا يرجع إلى أسباب مادية.. فيرى أن التوفي يعني أن عيسى عليه السلام أعطيت له قوة استطاع بها أن يصعد إلى أجواء مخالفة لجو الأرض، ولعلها في نظره أجواء النجوم السيارة كالمريخ والقمر وعطارد والزهرة ونبتون وزحل... أو فضاءات أخرى... ويقارن هذه الحادثة بعملية شق الصدر للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قبل معراجه..

بأي وسيلة ألقى شبه عيسى عليه السلام على ذلك الخائن ؟ فهل يستطيع السحر أن يواجه مثل هذا الحدث العظيم ؟؟ كيف تغلب سيدنا موسى عليه السلام بعصاه، التي كان هو بنفسه يجهل حقيقتها قبل نبوته، على الجهابذة من السحرة؟ وكيف استطاع بعصاه أيضا أن يشق طريقا في البحر

يبسا لقومه فأنجاهم من عدوهم اللعين؟؟ أبوسائل مادية ؟ فالمنطق لا يصدق أن يتغلب ساحر واحد ولو تبحر في علومه السحرية على فطاحل أربابه.. فالمسألة إذا نورانية، لا دخل للمادية فيها.. فكذلك بالنسبة لعروج الرسول صلى الله عليه وسلم، فعملية شق الصدر، عملية نورانية، وليست عملية جراحية مادية لتواجه العقبات المادية، عملية قام بها ملكان كريمان جبريل وميكائيل عليهما السلام وركب عليه الصلاة والسلام على دابة نورانية وهو البراق... كيف يزن الأستاذ الفحم الحجري بميزان الياقوت والجوهر.

شتان بين هذا وذاك... لقد أراد الله أن يكون الإسراء والمعراج معجزة خارقة للعادة لم يسبق لها سالف.. فلو كانت مفهومة بالوسائل المنطقية لقلنا أن صعود الإنسان إلى القمر من هذا القبيل.. فرفع سيدنا عيسى عليه السلام، كان رفعا نورانيا لا يعلم كنهه إلا الله سبحانه وتعالى.. ثم رفع إلى أين ؟ فالأين هنا لا يعني مسافات الكون الشاسعة لأن الله في الأرض والسماء وعرشه يسع السماوات والأرض. يقول الحق سبحانه: " **والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون** " (الذاريات /47) .

وخلاصة معنى الآية بإيجاز هو: والسماء أحكمناها بقوة وإنا لقادرون على أكثر من ذلك. وأما معنى قوله تعالى: " **وإنا لموسعون**" فقد تعرض له السابقون والمعاصرون. فأما السابقون فيقولون كما جاء في تفسير " مفاتيح الغيب" إن المعنى فيه وجوه :

* أحدها : أنه من السعة، أي أوسعنا السماء حتى صارت الأرض وما يحيط بها بالنسبة إلى السماء وسعتها كحلقة ملقاة في صحراء واسعة، والبناء الواسع والفضاء عجيب.
* ثانيها : قوله وإنا لموسعون أي لقادرون .
* ثالثها : معناه موسعون الزرق على الناس .

وأما العلماء المعاصرون الإسلاميون فيقولون: تشير هذه الآية الكريمة إلى معان علمية كثيرة، منها أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون الواسع بقوة، وهو على ما يشاء قدير. ومعنى السماء في الآية كل ما علا الجرم (الشيء) وأظله. فكل ما حول الأجرام من كواكب ونجوم ومجموعات شمسية ومجرات، سماء. هذا الجزء المرئي من الكون متسع اتساعا لا يدركه العقل ولا يتسنى تحديده . إذ المسافات فيه تقاس بملايين السنين الضوئية. والسنة الضوئية على ما أثبته العلم الحديث في هذا القرن العشرين هي المسافة التي يقطعها الضوء بسرعة تبلغ ثلاثمائة الف كيلومتر في الثانية .

وعبارة الآية الكريمة " **وإنا لموسعون**" تشير إلى ذلك ، أي إلى تلك السعة المذهلة التي عليها الكون منذ خلقه. كما أنها تشير أيضا إلى أن التوسعة مستمرة على الزمن وهو ما أثبته العلم الحديث أيضا، وعرف بنظرية التمدد التي أصبحت حقيقة علمية في أوائل هذا القرن، وحاصلها أن السدم خارج المجرة التي نعيش فيها تبتعد عنا بسرعات متفاوتة ، بل إن الأجرام السماوية في المجرة الواحدة يبتعد بعضها عن بعض. وقد ذكر هؤلاء الخبراء ذلك في كتاب" المنتخب في تفسير القرآن الكريم".. وإذا كانت العين يبدو لها أن كثيرا من الأجرام ثابتة فهذا لا يمنع أن تكون لها حركة لا تستطيع العين إدراكها، وسبحان من خلق كل شيء فقدره تقديرا !!!.. فإذا كان العقل البشري عاجزا عن إدراك مسافات الكون الشاسعة وهي مادية والكل مسخر للإنسان، فكيف به أن يطلع على الأنوار الإلهية ويقيسها بمقاييس مادية.. فهذا تناقض وخبال، ولو كانت حادثة الرفع خاضعة كما قال أستاذنا لمقاييس مادية وعضوية لاطلع رواد الفضاء في القرن العشرين على منازل الأنبياء والرسل الذين رفعهم الله عنده... ولا حول ولا قوة إلا بالله...

ليس في الدين الإسلامي ما يمنع الإنسان من ارتياد الفضاء أو محاولة الاطلاع على ما في الكواكب الأخرى، بل إن في القرآن الكريم ما يشير إلى الحث على هذا الارتياد مثل قوله تعالى: " **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق** "(فصلت/53) وقوله عز وجل في سورة الرحمن: "**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان** "(33). وقوله جل ذكره: " **قل انظروا ماذا في السماوات والأرض** " (يونس/101) .

وكذلك ليس في الدين ما ينفي وجود كائنات حية في الكواكب الأخرى غير الأرض والقرآن الكريم يشير إلى هذه الكائنات حين يقرر وجودها : " **ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بثّ فيهما من دآبة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير**"(الشورى/29). فقد قال المفسرون أن الدابة هي الحيوان الذي له دبيب وحركة، ومن بينهم الشيخ الألوسي رحمه الله الذي قال منذ أكثر من مائة عام: " ثبت في صحاح الأحاديث ما يدل على وجود الدواب في السماء من مراكب أهل الجنة، وكذلك جاء ما يدل على وجود ملائكة كالأوعال، بل لا يبعد أن يكون في كل سماء حيوانات ومخلوقات على صور شتى وأحوال مختلفة لا نعلمها، ولم يذكر في الأخبار شيء منها. فقد قال تعالى : " **ويخلق**

ما لا تعلمون". " وأهل الأرصاد اليوم يتراءى لهم بواسطة نظاراتهم مخلوقات في جرم القمر، لكنهم لم يحققوا أمرها لنقص ما في الآلات على ما يدعون، ويحتمل أن يكون فيما عدا القمر، ونفي ذلك ليس من المعلوم من الدين بالضرورة ليضر القول به ". "وقيل المراد بالسماوات جهات العلو المسامتة للأقاليم مثلا ، وفي جو كل إقليم بل كل بلدة، بل كل قطعة من الأرض، حيوانات لا يحصي كثرتها إلا الله تعالى بعضها يحس بها بلا واسطة آلة وبعضها بواسطتها " .

ومهما يكن من أمر فالذي ينبغي لنا أن لا نُحمل الدين فوق طاقته وأن لا نتوغل بنصوصه في مباحث علمية ليست من أهدافه الأساسية، فحسب الدين شرفا أنه يدعو إلى العلم والبحث والنظر في ملكوت السماوات والأرض وأنه لا يصادم حقائق العلم .

فإذا كان معراج الرسول الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزة إلهية وحادثة نورانية، فكذلك بالنسبة لسيدنا عيسى عليه السلام .. فقد كان رفعه حادثة نورانية بواسطة جنود " **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** "(التحريم /5).. وهؤلاء هم ملائكة الرحمن خلقوا من نور الله يتشكلون بأشكال مختلفة تقدر على أفعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان: قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الشغل بغيره. وقسم يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء وجرى به القدر. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **أتاني ملك لم ينزل الأرض قبلها قط برسالة من ربي فوضع رجله فوق السماء الدنيا ورجله الأخرى ثابتة في الأرض لم ينقلها**".

وقد جاء في صفة الملائكة أحاديث منها ما أخرجه الترمذي وابن ماجة والبزار من حديث أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا: " **أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد**" قال الطيبي: "الأطيط صوت الأقتاب وأطيط الإبل أصواتها وحنينها أي أن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطت وهو مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثم أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله... " ثم لا يقال إذا ملأ الكون كله فأين يكون الآخر لأنا نقول كما جاء عن الإمام ابن عطاء الله رضي الله عنه " الأنوار لا تتزاحم ألا ترى أنه لو وضع سراج في بيت ملأه نورا ولو أتينا بعده بألف سراج وسع البيت أنوارهم" .

فهذه الحوادث النورانية لا تخضع لمقاييس البشر ولا لميزانهم ولا تفتقر لا إلى المكان ولا إلى الزمان ولا إلى العلل.. فالكل خاضع لحكمة الله جلّ علاه وفق قدرته وإرادته، لا يسأل عما يفعل سبحانه.